محمود محمد طه
السفر الأول
١٩٤٥
الطبعة الثالثة يونيو ١٩٧٦م

إهداء
الطبعة الثانية

إلى الذين وُلِد هذا السِّفرُ على أيديهم ،

فوضعوا اللَّبنةَ الأولى في صرح عودة الإسلام ،

تحيَّةً .. ووفاءً .. وذكرى ..

بسم الله الرحمن الرحيم

"ولا تعجل بالقرآن من قبل إن يقضى اليك وحيه .. وقل : ربِّ زدني علماً" ..
صدق الله العظيم

المقدمة .. هذه هي مقدمة الطبعة الثالثة من كتاب "السِّفر الأول" الذى صدرت الطبعة الأولى منه في اكتوبر عام ١٩٤٥م، كما صدرت الطبعة الثانية منه، في مايو ١٩٧٦م الموافق جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ، احتفالاً بمرور ثلاثين عاماً على بداية الفكرة الجمهورية .. ونحن إذ نجعله، في متناول القارئ الكريم، هذا السفر التاريخي، وهو أول كتاب يصدره الجمهوريون، فانما نفعل ذلك لتمكنه من أن يتبين بعض السمات الرئيسية التى اتسمت بها الفكرة الجمهورية منذ بدايتها، وحتى يومنا هذا .. ونكتفي في هذا المقام بايراد بعض هذه السمات التى اشرنا إليها:

أولاً : إن الفكرة الجمهورية قد كانت، ومنذ بدايتها، دعوة دينية تقوم على أن "الإسلام هو طريق النجاة للعالم أجمع" ..

ثانياً : لقد كان للفكر دائماً اكبر الأدوار في توجيه مسار الحركة الجمهورية .. وآية ذلك حرص الجمهوريين الشديد والدائم على التمييز الدقيق بين الوسائل والغايات واخضاعهم كل شئ مما يأتون ومما يدعون للفكر الحر .. **ثالثاً** : إن من أبرز ما يميز الفكرة الجمهورية تماسكها الداخلى وخلوها من التناقض، وهذا ليس بمستغرب إذ أنها تستمد ما تقول به من التوحيد - من التحقق "بلا إله إلا الله" .. ولذلك فان جرثومة ما يقول به الجمهوريون اليوم قد كانت موجودة بصورة من الصور في سفرهم الأول .. **رابعاً** : إن الفكرة الجمهورية قد جعلت، ومنذ بدايتها، الانسان الغاية من وراء كل سعى في الحياة فالدين للانسان، وليس الانسان للدين .. **خامساً** : إن الفكرة الجمهورية قد كانت دائماً عميقة الإيمان بالشعب السوداني وبدوره التاريخي المرتقب .. وقد قالت عنه في هذا السفر : "إن الشعب السوداني يملك الكثير من غير أسباب الرشد وأسباب الانابة" .. هذه السمات التى ذكرناها وغيرها مما كان يمكن أن نذكره، هي ما نحب أن نلفت اليه نظر القارئ وهو يقبل على قراءة الطبعة الثالثة من أول الكتب التى صدرت عنا - "السِّفر الأول" .. هذا وعلى الله قصد السبيل -

بسم الله الرحمن الرحيم

«كما بدأنا أول خلق نعيده !! وعداً علينا .. إنا كنا فاعلين»

صدق الله العظيم

مقدمة

إحتفالا بمرور ثلاثين عاماً على تأسيس حركة "الاخوان الجمهوريين"، نقدم، هنا، الطبعة الثانية لأول كتاب صدر عنهم. وقد كان بعنوان «السفر الأول» وبتاريخ ٢٦ أكتوبر عام ١٩٤٥، الموافق ٢٠ ذو القعدة عام ١٣٦٤هـ

إن الذي يطلع على محتوى دعوتنا، اليوم، ثم يرجع إلى كتابنا «السفر الأول»، الذي خرج قبل ما يربو على ثلاثين عاماً، سوف يقف على ظاهرة فريدة، ليس لها ضريب، في تاريخ الحركات الفكرية، على الاطلاق .. هذه الظاهرة هي الاتساق، والانسجام التام الذي ينتظم سائر كتاباتنا ومواقفنا، طوال هذه الحقبة من الزمان .. فلا تناقض ولا تخبط، ولا تخليط .. فانك واجد في «السفر الأول» كل بذور دعوتنا التي ندعو بها اليوم، وكل إرهاصات مواقفنا المشهودة، المرصودة حتى اليوم .. هذه الظاهرة لها ما وراءها !! فهي أبلغ دلالة على تحقق داعي هذه الدعوة "بالتوحيد" وعلى صدور كل شيء عنها منتظماً في سلك "التوحيد" ..

هذه واحدة .. والثانية أن دعوتنا قد كانت مرعية، ومحفوظة، ومسددة، وهي في ذلك الطور الأول، لأنها إنما هي، حتى في ذلك الطور الأول، دعوة إلى الاسلام، في صدق واخلاص .. ولقد زخرت الثلاثون عاماً الأخيرة بتبويب هذه الدعوة، وبتمديد خطوطها، وتفصيل مجملها .. حتى خرجت للناس كما يعرفونها اليوم، دعوة إلى الاسلام على بينة وبصيرة .. و«السفر الأول»

وثيقة تشهد بأن حركة الجمهوريين ، منذ نشأتها ، هي السهر الدائم على مصلحة هذا البلد ، والهم الدائم بمصير أبناء هذا البلد .. فان « السفر الأول » قد دعا إلى تحقيق استقلال السودان عن الحكم الثنائي ، باصرار صلب ، ثم هو قد دعا إلى إعطاء الإستقلال مضمونه الحقيقي ، بنظر ثاقب ، وذلك بالتخطيط له إقتصاديا وسياسيا واجتماعيا .. وهو ما كان يميز الجمهوريين عن الأحزاب الطائفية التي لم تطرح برنامجا للتعمير والاصلاح في أي يوم من الايام .. وانما كانت هذه الأحزاب واجهات سياسية تتصارع فيما بينها على السلطة من أجل توسيع النفوذ الطائفي ..

والكتاب أيضا ، يتناول بالمعالجة الموضوعية ، من قبل ثلاثين عاما المشاكل الأساسية التي لا زالت تواجه مجتمعنا السوداني حتى اليوم .. وسنتناول فيما يلي بعضا من سمات هذا السفر الخالد :-

الإسلام والسفر الأول

لقد كانت « الفكرة الجمهورية » إسلامية منذ يومها الأول .. ولقد كانت ، في ذلك ، واعية ، متحررة .. ها هو « السفر الأول » يتحدث عنها : « نحن اليوم بسبيل حركة وطنية تسير بالبلاد ، في شحوب أصيل حياة العالم هذه المدبرة ، إلى فجر حياة جديد ، على هدى من الدين الإسلامي ، وبرشد من الفحولة العربية ، وبسليب من التكوين الشرقي . ولسنا ندعو ، أول ما ندعو ، إلى شئ أكثر ، ولا أقل من إعمال الفكر الحر فيما نأتي وما ندع من أمورنا - الفكر الحر الذي يضيق بكل قيد - ويسأل عن قيمة كل شئ ، وفي قيمة كل شئ ، فليس شئ عنده بمفلت عن البحث ، وليس شئ عنده مفلت

من التشكيك . فلا يظنن أحد أن النهضة الدينية ممكنة بغير الفكر الحر ، ولا يظنن أحد أن النهضة الاقتصادية ممكنة بغير الفكر الحر ، ولا يظنن أحد أن الحياة نفسها يمكن أن تكون منتجة ، ممتعة بغير الفكر الحر »

هذه كانت « الفكرة الجمهورية » .. دعوة إلى الإسلام في معنى ما هي دعوة إلى الفكر الحر .. فان الإسلام دعوة ، أوكد دعوة ، إلى تحرير الفكر. وذلك مقتضى قوله تعالى : « وأنزلنا إليك الذكر ، لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون ! » .. غير أن الجمهوريين لم يسموا أنفسهم باسم الاسلام لاعتبارات مرحلية .. فكان اسمهم في البدء « الحزب الجمهوري » . ذلك بأنهم قد دعوا ، في ذلك الوقت إلى قيام « حكومة سودانية ، جمهورية ، ديمقراطية ، حرة » بينما كانت الحكومة الوطنية منقسمة على نفسها بين الأحزاب الإتحادية التي تنادي بالوحدة مع مصر تحت التاج المصري ، والاحزاب الاستقلالية التي كانت متهمة بالدعوة إلى تاج محلي بالتحالف مع بريطانيا .. فكلاهما كان « ملكياً » . فجاء « الجمهوريون » يدعون إلى « الجمهورية الديمقراطية » .. وقد قالوا في « السفر الأول » : « رأت هذه الجماعة التي تكونت باسم الحزب الجمهوري أن أنسب نظام يلائم نفسية هذا الشعب ، ويتجاوب مع رغائبه ، ويخدم أغراضه ، ويحمي منافعه هو - قيام حكومة جمهورية ديمقراطية حرة ».

وفي عام ١٩٥١ جاء الاستاذ محمود محمد طه بالفكرة الاسلامية مفصلة ، ومبوبة المحتوى .. غير أن الجمهوريين ظلوا على اسمهم القديم - الحزب الجمهوري .. فلم يسموا أنفسهم باسم الاسلام خشية أن يختلط اسمهم باسم الدعوات « الاسلامية » التي لاحظ لها من الاسلام إلا الاسم « كالأخوان المسلمين » .. واتجه الجمهوريون إلى ملء المحتوى

الإسلامى لدعوتهم ، بلسان حالهم - وهو الأخلاق ، وبلسان مقالهم - وهو الحجة البالغة - فلما أخذ محتوى دعوتهم فى الظهور هونا ما أسمى الجمهوريون الدعوة باسم « الدعوة الإسلامية الجديدة » ، وأسموا أنفسهم « الاخوان الجمهوريون » . والاخوان ، هنا ، هم ، بما حققوا من اتباع للسنة النبوية ، النواة الصالحة لاخوان النبى ، صلى الله عليه وسلم ، الذين أشار إليهم فى الاثر المشهور « واشوقاه لاخوانى الذين لما يأتوا بعد! » ، والاخوان الجمهوريون ، بذلك ، طلائع الأمة الاسلامية المرتقبة ، التى يبشرون بمجيئها ، ويمهدون لهذا المجئ بإقامتهم الاسلام فى أنفسهم ، وبدعوة الناس إليه . فعمل « الاخوان الجمهوريين » اليوم إنما هو ، ليكونوا غداً « الاخوان » وليكونوا « المسلمين » .. فان هذين الاسمين هما اللذان سوف ينطبقان عليهم ، يومئذ . غير أن دعوتهم ، وهى إلى الاسلام ، سوف يتأذن الله بشيوعها ، فى كل بقعة من بقاع هذا الكوكب ، فيدخل الناس فيها أفواجاً .. ويومئذ فلن تميز بين الناس العقيدة ، لا ، ولا العنصر!! ذلك بأن هذا الكوكب سوف تحكمه حكومة عالمية واحدة ، تخضع لها سائر الدول ، فلا يكون التمييز بين الناس إلا على أساس أقاليمهم .. وتصير البشرية إلى الانسانية حيث الوحدة التى فى إطارها تنمو وتزدهر الخصائص الأصيلة لكل إقليم .

هذا هو الاسلام فى محتواه الانسانى « فطرة الله التى فطر الناس عليها » . وهو إنما يقوم على الاصول المشتركة بين الناس كافة - وهى العقل والقلب .. أو ما يعرف بالمواهب الطبيعية .. ولذلك جاء تعريف التعليم فى « السفر الاول » بأنه « تنمية المواهب الطبيعية »!!

وتلك أبلغ دلالة على وجود الدعوة إلى الإسلام في مستواه الانساني بذرة في هذا السّفر، كلما تهيأت لها الظروف نمت وازدهرت وآتت أكلها .. ولقد وردت الاشارة إلى هذا المستوى من الاسلام الذي يفضي فيه التمييز العقيدي إلى التمييز الاقليمي في السّفر الأول بما يلي : «على هدى من الدين الاسلامي، وبرشد من الفحولة العربية"، وبسبب من التكوين الشرقي» !!

السّفر الأوّل والسودان

لقد كان السودان ولايزال، هو شغل الجمهوريين الشاغل، وكانت تقتهم، ولاتزال، في أصالته لاتحدها حدود، وكانوا، ولايزالون، يبوئونه دور الريادة بين كافة بلاد العالم.. فقد قال الاستاذ محمود محمد طه في السّفر الأول : « ويؤمن الحزب الجمهوري ايمانا لاحد له بالسودان ويعتقد أنه سيصبح من الروافد التي تضيف إلى ذخر الإنسانية ألوانا شهية من غذاء الروح، وغذاء الفكر، إذا آمن به أبناؤه فلم يضيعوا خصائصه الاصيله، ومقوماته بالاهطاع نحو الغرب، ونحو المدنية "الغربية"، في غير روية ولا تفكير »

هذا هو رأي الجمهوريين في السودان منذ ذلك التاريخ .. والسودان، عند الاخوان الجمهوريين، هو الأرض التي سيقوم عليها أنموذج المجتمع الانساني الذي سوف يتسع ليضم سائر بقاع الأرض، وذلك بظهور الاسلام على الدين كله، يوم تشرق الارض بنور ربها ..

السِّفر الأول والأحزاب الطائفية

إن البصيرة النافذة هي التي تتخطى حجب الزمان وتتجاوز الملابسات الوقتية، فيصدق المستقبل حكمها على الناس وعلى الأحداث .. قال الاستاذ محمود محمد طه في السِّفر الأول: «لماذا عندما ولدت الحركة السياسية في المؤتمر «مؤتمر الخريجين» إتجهت إلى الحكومة تقدم لها المذكرات تلو المذكرات، ولم تتجه إلى الشعب تجمعه وتنيره، وتثيره لقضيته؟ ولماذا قامت عندنا الأحزاب أولاً ثم جاءت مبادؤها أخيراً؟ ولماذا جاءت هذه المبادئ، حين جاءت، مختلفة في الوسائل، مختلفة في الغايات؟؟ ولماذا يحدث تحور وتطور في مبادئ بعض هذه الأحزاب بكل هذه السرعة؟؟ ثم لماذا تقبل هذه الاحزاب المساومة في مبادئها مساومة جعلت أمراً كالوثيقة عملاً محتملاً، وقد وقع واستبشر به بعض الناس؟؟ نعم، لسائل أن يسأل عن منشأ كل هذا - والجواب قريب!! هو انعدام الذهن الحر، المفكر، تفكيراً دقيقاً في كل هذه الأمور»..

هذا ما قاله الأستاذ محمود قبل ثلاثين عاماً، والأحزاب الطائفية يومئذٍ في مهدها.. فانظر كيف دلت الأيام على صدق قوله حينما تصدرت هذه الأحزاب العمل السياسي وتعاقبت على السلطة طوال هذه الحقبة من الزمان.. إن الاستاذ محمود قد وضع يده على بذور الفناء التي صحبت نشأة الاحزاب الطائفية.. «انعدام الذهن الحر المفكر».. فأحزابنا كانت طائفية النشأة، ولا يكون مع الطائفية ذهن حر مفكر على الإطلاق..

لقد وظف الجمهوريون أنفسهم منذ ذلك التاريخ لاجتثاث جذور الطائفية الضاربة في نفوس شعبنا الذى استغلت فيه الزعامات الطائفية حبه للدين، فضللته، واستغلته، أسوأ الاستغلال، في توسيع نفوذها السياسى والاقتصادى. ونحن نرى أن القضاء على الطائفية القضاء المبرم لا يتم إلا بالتوعية بالدين الصحيح بين أفراد شعبنا.. وهو ما يقوم به الاخوان الجمهوريون، اليوم، في إتصالهم بأفراد الشعب، اتصالاً يومياً دؤوباً..

السفر الأول والتعليم

وقال السفر الأول عن التعليم ما يلى :-

«فلو كان المؤتمر - مؤتمر الخريجين - موجهاً توجيهاً فاهماً لعلم أن ترك العناية بنوع التعليم خطأ موبق لا يدانيه الا ترك العناية بالتعليم نفسه، ولأيقن أن سياسة: «سركما تشاء» المتبعة في التعليم الأهلى سيكون لها سود العواقب في مستقبل هذه البلاد، فإن نوع التعليم الذى نراه اليوم لن يفلح إلا في خلق البطالة، وتنفير النشئ من الأرياف، وتحقير العمل الشاق في نفوسهم»

هذا ما قاله الأستاذ محمود محمد طه قبل ثلاثين عاماً..

فانظر كيف تتفاقم اليوم أزمة التعليم! وانظر كيف تتحقق اليوم، هذه النبوءة:

«فان نوع التعليم الذى نراه اليوم لن يفلح إلا في خلق البطالة وتنفير النشئ من الأرياف، وتحقير العمل الشاق في نفوسهم»!!،

الا نرى اليوم، خريجينا في الجامعات والمعاهد والمدارس ينفرون

من العمل فى الارياف ؟؟ ألا نرى اليوم طلابنا يحتقرون العمل اليدوى؟؟
لقد ظل الجمهوريون يرفعون راية الإصلاح فى نظامنا التعليمى منذ ثلاثين عامًا ، وقد أصدروا سفرًا عن التعليم ، أعيدت طبعته فى الأيام الأخيرة .. والجمهوريون دعاة إلى الثورة الثقافية التى فيها يلتقى الفكر بالواقع ، فتعود للعمل اليدوى مكانته ، ويعود اليه احترامه.. وتصدر فى هذه الأيام الطبعة الثانية من كتاب «الثورة الثقافية» للاستاذ محمود ، وبذلك تنتظم أوليات دعوتنا مع أخرياتها فى سلك التوحيد «كما بدأنا أول خلق نعيده !»

الصف الأول ومشكلة الجنوب

لقد وضع الجمهوريون يدهم على إرهاصات مشكلة الجنوب منذ ثلاثين عامًا ، فسبقوا بذلك وقتهم ، وتقدموا الأحداث .. فها هو السفر الأول يقول :- «والمكان الاول من هذه العناية سينصرف لمواطنينا سكان الجنوب الذين قضت عليهم مدنية القرن العشرين أن يعيشوا حفاة عراة جياعًا مراضًا بمعزل عنا»

ويقول السفر الأول وهو يعدد أهداف «الفكرة الجمهورية» «العناية بالوحدة القومية ، ونرمى بذلك إلى خلق سودان يؤمن بذاتية متميزة ، ومصير واحد ، وذلك بازالة الفوارق الوضعية من اجتماعية وسياسية ، وربط أجزاء القطر شماله وجنوبه وشرقه وغربه ، حتى يصبح كتلة سياسية متحدة الأغراض متحدة المنافع ،

متحـدة الأحساس »

هكذا وضع الجمهوريون أسس الوحدة القومية منذ ذلك التاريخ.. فهى وحدة جغرافية البناء التحتى ، فكرية وشعورية البناء الفوقى -

الســفر الأول والمســألة الإقتصادية

وقال الجمهوريون فى السفر الأول قبل ثلاثين عاماً وهم يرسمون الخطوط العريضة للتنمية الاقتصادية «ترقية الفرد من ناحيته الانتاجية والمعيشية حتى يتمكن من استغلال موارد بلاده الزراعية والصناعية بإنشاء جمعيات تعاونية لهذا الغرض، إنشاء نقابات توجه العمال التوجيه الصحيح ».. كما جاء فى أهداف الجمهوريين «ترقية الفرد والعناية بشأن العامل والفلاح »

ونحن نرى أن الجمهوريين ، منذ ذلك التاريخ ، جعلوا تنمية الفرد هى الغاية من وراء التنمية الاقتصادية والاجتماعية .. وقد فصّلوا هذا المبدأ ، فيما بعد ، فابرزوا مزيّة الاسلام التى يمتاز بها عن سائر الفلسفات الإجتماعيات ، وهى مقدرته على التوفيق بين حاجة الجماعة إلى العدالة الاجتماعية الشاملة وحاجة الفرد إلى الحرية الفردية المطلقة متخذاً الاخيرة بمثابة الغاية من الأولى .. أنظر كيف وضع الجمهوريون أساس الاشتراكية الديمقراطية بدعوتهم إلى إنشاء الجمعيات التعاونية قبل ثلاثين عاماً !! وانظر كيف دعا الجمهوريون إلى قيام نقابات للعمال فى ذلك الوقت الذى لم تنشأ فيه بعد الحركة النقابية !! وإلى العناية بشأن الفلاح قبل قيام إتحادات المزارعين !!

الصقر الأول والمرأة

وقال "الصقر الأول" في مسألة المرأة

« وسيولى هذا الحزب هذه المسألة عناية ماعليها من مزيد . وسترى !!».

وصدق الجمهوريون المرأة وعدهم فأولوا مسألتها عناية ماعليها من مزيد! وصاروا اليوم، هم وحدهم نصراء المرأة الحقيقيين.. فانهم هم الذين دعوا إلى تطوير التشريع الاسلامى من فروع القرآن حيث قوامة الرجل على المرأة إلى أصول القرآن حيث مساواة المرأة بالرجل .. وأخرجوا فى ذلك المنشرات والأسفار، «كتطوير شريعة الاحوال الشخصية» و «خطوة نحو الزواج فى الاسلام» واحتفلوا بعام المرأة العالمى، واخرجوا خلاله ستة عشر كتاباً . ذاعت بين الناس وأحدثت أثرها الحميد، واقاموا المحاضرات والندوات واركان النقاش فى جميع أنحاء البلاد .. يبصرون أفراد شعبنا، عامة، والمرأة خاصة، بحقوق المساواة المدخرة لها فى أصول القرآن . وفوق ذلك فقد ربى الاستاذ محمود المرأة ذات الدين، السالكة فى طريق السنة النبوية ،، وخرج من تلميذاته من تعد مفخرة للمرأة .. وللبشرية كافة . عبر تاريخها الطويل ، فخرجت المرأة، متمثلة فى «الأخت الجمهورية» إلى الشوارع والأماكن العامة تدعو إلى الدين.. ولأول مرة فى تاريخ الأديان ..

لقد قال الاستاذ محمود محمد طه عام ١٩٤٥ عن مسألة المرأة :

« وسيولى هذا الحزب هذه المسألة عناية ماعليها من مزيد وسترى !!»

وهاهو عام ١٩٧٦ يشهد، عند الجمهوريين ، اعزاز المرأة وتكريمها بتأهيلها للدعوة إلى الدين .. ولقد رأينا أى عناية أولى الجمهوريون مسألة المرأة ..

قال السّفر الأوّل **الصّفر الأول**
وهو يدعو إلى إنهاء **والتعليم الدّيني**
إزدواجية التعليم
المتمثلة في التعليم الديني والتعليم المدني :-

« مايرى الحزب الجمهوري أن يكون هناك تعليم ديني وتعليم مدني كل في منطقة منعزلة عن الأخرى .. ولايرى أن يكون للرجل أخلاق في المصلّى وأخرى غيرها في الحانوت أو الشوارع ، وإنما يرى أن يتعلم كل الناس أمور دينهم وامور معاشهم ، ثم يضطربون في ميدان الحياة بأجسام خفيفة، وأرواح قوية ، وقلوب ترجو لله وقاراً » .

هذا هو رأى الجمهوريين في « التعليم الديني » .. كان ولايزال .. فإن هذا النمط من التعليم الذى يمارس اليوم هو الذى يخرج طبقة من يعرفون « برجال الدين » .. وهم السبب وراء الجفوة المفتعلة بين الشباب والدين . وقد صوروا الدين ، بسوء تمثيلهم له ، صوراً شوهاء .. ومن ثم دعوتنا إلى إلى تنقية معين الدين الصافي من كدرهم .. وعزلهم عن التمسح باستاره هذا شرط أساسي من أشراط البعث الديني لا محيص عنه ،. وهكذا ، فان معاركنا مع رجال الدين ، والتى تدخل في هذه الأيام أطوارها الحاسمة . إنما هي معارك مبدئية .. فنحن لا ننطلق فيها من أضغان شخصية .. أو قصد سيء ..

أما بعد ، فسنترك القارئ الكريم مع « السفر الأول » .. ليتابع فيه ظاهرة انسجامه مع مانذيعه اليوم من محتوى الدعوة الاسلامية الجديدة . فهو قد كان نواة هذه الدعوة .. ولاتصدر هذه الافكار المنسجمة المتسقة إلا من نفس حققت « بالتوحيد » « وحدتها » فلما فكرت أو قالت أو فعلت

كان فكرها وقولها وفعلها «موحدًا» .. وكانت دعوتها دعوة، بابلغ لسان، إلى التوحيد ..
فإلى الكتاب، والله ولى التسديد ..

بسم الله الرحمن الرحيم

«الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ، فَاخْشَوْهُمْ، فَزَادهم إيمانا، وَقَالوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعمَ الوَكِيلُ»

حسبنا الله ونعم الوكيل ..

«أما بعد - فعندما قيض الله للبلاد فكرة المؤتمر استجابت لها، والتفت حولها، فدرج المؤتمر مرعيًا مرموقًا .. وانخرط الخريجون بزمامه فى حماس بادٍ، وامل عريض .. فدعا إلى إصلاحات جمّة، فاصاب كثيرًا من النجاح، ووفق، بوجه خاص، فى يوم التعليم .. فقد جمع الأموال، وافتتح المدارس فى شتى أنحاء القطر، أو، إن أردت الدقة، إنه ساعد العاملين من أبناء مدن القطر على إنشاء المدارس الوسطى التى أرادوها، وقد كان، كلما أنشأ مدرسة، أو ساعد على انشاء مدرسة، تخلى عنها لمصلحة المعارف تسيرها وفق مناهجها، وأولاها ظهره، وتطلع إلى غيرها .. فقد جعل وكده إنشاء المدارس، ولا شئ بعد ذلك - ثم أن المؤتمر كان له رأى ونشاط فى الميدان الاقتصادى، وفى إصلاح القرية، واصلاح الفرد، ومحاربة الأمية، وتحسين الصحة العامة، إلى آخر ما إلى ذلك .. مما جعل المؤتمر مرجوًا - ثم

ولدت الحركة السياسية في المؤتمر، وذلك يوم بعث بمذكرة للحكومة يطالب فيها إلى جانب حقوق أخرى بحق تقرير المصير .. وقد أحاط المؤتمر هذه المذكرة بتكتم رصين، عاشت فيه، حتى اللجان الفرعية، في ظلام دامس .. ثم أخذ يتداول مع الحكومة الردود بهذا الشأن بدون أن يعنى بأن يقول للجان الفرعية، بله الشعب، كيف يريد أن يكون هذا المصير الذى يطلب أن يمنح حق تقريره .. ثم انقضت فترة، ومشت في المؤتمر روح شعبت أتباعه، شيعًا، على أساس الصداقات، وتجانس الميول، بادئ الرأى، ثم اتخذ كل فريق اسما سياسيًا، وجلس يبحث مبادئه، ودساتيره .. فمنهم من يريد للبلاد اندماجًا مع مصر، ومنهم من يريد لها معها اتحادًا، ومنهم من يريد لها شيئًا لا هو بهذا، ولا هو بذاك، وانما هو يختلف عنهما اختلافًا، هو على أقل تقدير، في أخلاد أصحابه، كاف ليجعل لهم لونًا يميزهم عن هؤلاء، وأولئك .. أنبثت هذه الأحزاب، وتعددت، واختلفت، فيما يوجب الاختلاف، وفيما لا يوجب الاختلاف .. ولكنها كلها متفقة على الاحتراب على كراسى المؤتمر، وعلى الاستمرار في حرب المذكرات هذه، مع الحكومة.. وان الحال لكذلك، وإذا بالخبر يتناقل بقرب مولد حزب جديد. ثم ولد حزب الأمة بالغًا، مكتملا .. وجاء بمبادئ يغاير المعروف منها مبادئ الأحزاب الاخرى مغايرة تامة، ويكشف المجهول منها غموض يثير الريب .. والمؤتمر في دورته هذه بيد الأشقاء، وهم قد كان مبدؤهم الاندماج، أول أمرهم، ولكنهم، عندما قدموا مذكرتهم للحكومة - حسب العادة المتبعة - ظهر أنهم اعتدلوا، وجنحوا الى الاتحاد، ولكن الحكومة ردت عليهم ردًا لا يسر صديقًا .. فعكفوا عليه

يتدارسونه حسب العادة أيضاً ، ولكن هذه مساعى التوفيق تسعى ، بين الأحزاب ، لتتحد ، وتقدم مذكرة جديدة للحكومة .. فكانت مساومات ، وكانت ترضيات .. بين من يريدون الانجليز ، وبين من يريدون المصريين ، وظهرت الوثيقة - هكذا أسموها هذه المرة - الوثيقة التى تنص على حكومة ديمقراطية حرة ، فى اتحاد مع مصر ، وتحالف مع بريطانيا [1] .

هذه صورة سريعة جداً ، مقتضبة جداً ، لنشاط المؤتمر فى السياسة ، وفى الاصلاح .. ولسائل أن يسأل لماذا لم يسر المؤتمر فى التعليم الاهلى على هدى سياسة تعليمية موضوعة ، متطور فيها إلى حاجة البلاد كلها ، فى المستقبل القريب ، والبعيد ؟ ولماذا لم يُعْنَ المؤتمر بمناهج الدراسة كما عُنِيَ بانشاء المدارس ؟ وله أن يسأل لماذا ، عندما ولدت الحركة السياسية فى المؤتمر ، اتجهت إلى الحكومة تقدم لها المذكرات تلو المذكرات ولم تتجه إلى الشعب ، تجمعه ، وتنيره ، وتثيره لقضيته ؟؟ ولماذا قامت عندنا الأحزاب أولا ، ثم جاءت مبادؤها أخيراً ؟؟ ولماذا جاءت هذه المبادئ ، حين جاءت مختلفة فى الوسائل مختلفة فى الغايات ؟؟ ولماذا يحدث تحور ، وتطور ، فى مبادئ بعض هذه الأحزاب ، بكل هذه السرعة ؟ ثم لماذا تقبل هذه الأحزاب المساومة ، فى مبادئها ، مساومة جعلت أمراً كالوثيقة عملا محتملاً ، وقد وقع واستبشر به بعض الناس ؟

نعم لسائل أن يسأل عن منشأ كل هذا - والجواب قريب : هو انعدام الذهن الحر ، المفكر ، تفكيراً دقيقاً ، فى كل هذه الامور ، فلو كان المؤتمر موجهاً توجيهاً فاهماً لعلم أن ترك العناية بنوع التعليم خطأ موبق ، لا يدانيه

---

(1) ثم كانت بعد ذلك الاتفاق على قيام الوفد السودانى إلى مصر على أساس وثيقة الأحزاب .. ورجوع أعضاء حزب الأمة منه ، وتداوله لوحدة وادى النيل !

الا ترك العناية بالتعليم نفسه .. ولا يقن أن سياسة (سر كما تشاء) هذه المتبعة في التعليم الأهلي سيكون لها سود العواقب في مستقبل هذه البلاد . فان نوع التعليم الذي نراه اليوم لن يفلح إلا في خلق البطالة ، وتنفير النشء من الأرياف ، وتحقير العمل الشاق في نفوسهم .. وانعدام الذهن المفكر تفكيراً حراً دقيقاً هو الذي طوع للمؤتمر يوم ولدت فيه الحركة السياسية - وهي قد ولدت ميتة - أن يعتقد أن كتابة مذكرة للحكومة تكفي لكسب الحرية ، حتى لكأن الحرية بضاعة تطلب من الخارج ، ويعلن بها الزبائن بعد وصولها ، حتى تكون مفاجأة ، ودهشة .. ولو أن جميع الاحزاب القائمة الآن استطاعت أن تفكر تفكيراً دقيقاً لاقلعت عن هذه الالاعيب الصبيانية التي جعلت الجهاد في سبيل الحرية ضرباً من العبث المزري .

وآية العجز عن التفكير الدقيق عند قوم أن تراهم يخلطون تخليطاً مشيناً بين الوسائل والغايات ، أو بين الوسائل التي تفضي عن قريب إلى الغاية ، والوسائل البعيدة الإفضاء - فتراهم ينفقون جهداً جهيداً فيما لا يستحق أن يعنى الرجل الرشيد طرفة عين - وقديماً طوع العجز عن التمييز بين الوسائل والغايات لبعضهم أن يقول «الغاية تبرر الوسيلة» وهو قول خطأ من أصله .. فان الغاية لا تبرر الوسيلة ، وإنما تعينها ، أو تعين خطلها من مراقي الرفعة .. فالغايات الرفيعة ، كالحرية مثلاً ، لا يمكن أن يتوسل إلى منازلها بغير وسائل التضحية ، ووسائل النبل ، ووسائل القصد الصريح - ذلك بأن الوسائل بسبيل من الغايات .. وهي ، في سبحانها العليا ، تلتقي بها ، وتتواشج معها ، حتى لقد يصبح التمييز بينهما زيادة تستقصي حتى على فحول العقول - والمقدرة على التمييز الدقيق بين الوسائل والغايات هي أول ، والزم ما يجب أن تتحلى به العقول التي

تتصدى لتوجيه مصيرنا ، نحن ، لأنا ضعفاء ، ننشد القوة ، فما نقوى على إنفاق الجهد فى غير غناء ، ولأنّا قلال ، نبغى الكثرة فما نطيق أن نذهب شيعاً ، وأهواء !!

نحن اليوم بسبيل حركة وطنية تسير بالبلاد فى شحوب أصيل حياة العالم هذه المدبرة ، إلى فجر حياة جديد ، على هدى من الدين الاسلامى ، وبرشد من الفحولة العربية ، وبسبب من التكوين الشرقى .. وليسنا ندعو ، أول ما ندعو ، إلى شئ ، اكثر ولا أقل ، من إعمال الفكر الحر فيما نأتى ، وما ندع من امورنا ـ الفكر الحر الذى يضيق بكل قيد ، ويسأل عن قيمة كل شئ ، وفى قيمة كل شئ .. فليس شئ عنده بمفلت عن البحث ، وليس شئ عنده بمفلت من التشكيك .. فلا يَظُنَّنَّ أحد أن النهضة الدينية ممكنة بغير الفكر الحر .. ولا يَظُنَّنَّ أحد أن النهضة الاقتصادية ممكنة بغير الفكر الحر .. ولا يظُنَّنَّ أحد أن الحياة نفسها يمكن أن تكون منتجة ممتعة بغير الفكر الحر .

إن الحزب الجمهورى لا يسعى إلى الاستقلال كغاية فى ذاته ، وإنما يطلبه لأنه وسيلة إلى الحرية .. وهى التى ستكفل للفرد الجو الحر الذى يساعده على إظهار المواهب الكمينة فى صدره وراسه . ويؤمن الحزب الجمهورى ، إيمانا لاحد له ، بالسودان .. ويعتقد أنه سيصبح من الروافد التى تضيف إلى ذخر الانسانية ألوانا شهية من غذاء الروح ، وغذاء الفكر ، إذا آمن به أبناؤه ، فلم يضيعوا خصائصه الأصيلة ، ومقوماته ، بالاهطاع نحو الغرب ، ونحو المدنية الغربية ، فى غير روية ، ولا تفكير .. ورأى هذا الحزب فى المدنية الغربية ، هو أنها محاولة إنسانية نحو الكمال .. وهى ككل عمل إنسانى خطير ، مزاج بين

الهدى والضلال .. وهى ، لهذا ، جمة الخير ، جمة الشر .. وشرها اكبر من خيرها .. وهى كذلك بوجه خاص على الشرق الذى بصرفه بهرجها ، وبريقها ، وزيفها ، عن مجال الخير فيها ، ومظان الرشد منها .. ويرى هذا الحزب: أننا ماينبغى أن نتقى هذه المدنية ، بكل سبيل ، كما يريد المتزمتون من أبناء الشرق .. ولاينبغى أن نروج لها ، بكل سبيل ، ونعتنقها ، كما يريد بعض المفتونين ، المتطرفين ، من أبناء الشرق .. وإنما ينبغى أن نتدبرها ، وأن ندرسها ، وان نتمثل الصالح منها .. وهذه المدنية تضل ، وتخطئ ، من حيث تنعدم فيها معايير القيم ، وتنحط فيها اعتبارات الأفكار المجردة .. فليس شئ لديها ببالغ فتيلاً إذا لم يكن ذا نفع مادى ، يخضع لنظام العدد ، والرصد .. فهى مدنية مادية ، صناعية ، آلية ، وقد أعلنت إفلاسها ، وعجزها ، عن اسعاد الإنسان ، لانها كفرت بالله ، وبالانسان .. ويعتقد الحزب الجمهورى إن الشرق ، عامة ، والسودان ، خاصة ، يمكنهما أن يضيفا عنصراً إلى المدنية الغربية هى فى أمس الحاجة اليه ، وذلك هو العنصر الروحى .

هذا هو ايمان الحزب الجمهورى بالشرق ، وبالسودان ، وذلك هو رايه فى المدنية الغربية ، وعلى هدى هذا الايمان ، وذلك الرأى ، اتخذ الحزب طريقه على النحو الآتى :

(أ) فى المسألة السياسية

أما هذه فالمبدأ فيها الجلاء التام .. والوسيلة الحكومة الجمهورية الديمقراطية .. والغاية اسعاد الفرد باشاعة فرص الكسب حتى يعيش

في مستوى يليق بكرامة الانسان ، ويضمان الجو الحر الذى يساعد على اظهار المواهب الكمينة في صدره ، ورأسه ، وقد جاء بياننا في الصحف كافيًا عن إطالة الكلام في هذا .. ولكننا نريد أن نذكر هنا أن عتادنا في هذه المسألة هو الشعب السوداني الموحد المستنير .. ولخلق هذا فان علينا أن نبث فيه روح الاعزاز ، وأن نوقظه ، وأن نثيره ، وأن نكتّله ، وأن نجمعه حولنا . وأن علينا أن نبعث في الامة حياة نابضة ، شاعرة ، ماثلة ، إلى جانب حياة كل فرد ، وكل طائفة ، وكل مجموعة ، حتى تضطرب الأمة في ميادين التجارة ، ومعامل الصناعة ، وحقول الزراعة ، ودور العلم ، ومحافل السياسة ، وهى شاعرة بحياتها ، مأخوذة بروح مشبوب إلى الكمال ، موكل باقتحام السدود المضروبة دون الحرية والاستقلال .. فان الأمة التي لا يعتلج صدرها بدواعى القلق ، ودوافع الحياة ، ليست خليقة بأن تعز ، ولا بأن تعلو ، بل هى لا يمكن أن تعز وأن تعلو ، فقد قضى ربك إلا تكون الحرية شيئًا مسفًا يناله المستلقى على هينته ، والجالس - ولو قد كانت ، لما طويت عن أخ الشيخ اليراع -

والحزب الجمهورى هذا لن يتقاضانا أكثر من أن نؤمن بحقنا في الحياة الحرة الكريمة .. ولا أكثر من أن نستيقن من أنه من الزم واجباتنا أن نهيئ لاخلافنا حياة ترتفع عن حياة السوائم والانعام فان هذه الحياة التي نحياها نحن اليوم - هذه الحياة التي تستغرق مطالب المعدات والاجساد كل جهادها ، وكل كدها ، لهى حياة لا يغبط عليها حَيٌّ حيًا .. فان نحن رضيناها لاخلافنا من بعدنا إنا إذن لخاسرون .. لن يطلب إلينا الحزب الجمهورى اكثر من هذا الايمان ، ولا اكثر من ألا نجعل في حسابنا موضع إهاب للهمم الفواتر التي رمتها نوازع الشكوك ، واعتركت على مقعد

يقينها غوائل الظنون، وشعّبتها مصارف الريب .. فان تلك الهمم لهى بئس العتاد إذا أحلولكت بهمة الظلام، واستبهم طريق اليقين، والتبست مسالك النجاة ..

كل الموارد الاقتصادية ستلقى عناية تامة، والمورد البشرى بوجه خاص .. فانا أفقر إليه منا إلى أى شئ آخر عداه .. فان عدد السكان يجب أن يزيد .. وصحة الفرد يجب أن تحسن .. وذلك يقتضى العناية بغذاء الأطفال، وسكنهم، وتعليمهم فى الهواء الطلق، وتحبيب الرياضة البدنية إلى نفوسهم، وبذلك يستطيع السودان أن يقوم على سند من شباب قوى الأسر، قوى الأخلاق، قوى العزم على القيام بمناصرة الحق، فى ثقة، وثبات، حتى لكأنه الطود الأشم .. أو لكأنه العيلم المسجور – والمكان الأول من هذه العناية سيصرف لمواطنينا سكان الجنوب الذين قضت عليهم مدنية القرن العشرين أن يعيشوا حفاة، عراة، جياعا، مراضا، جهلة بمعزل عنا .. فهؤلاء يجب أن نشركهم فينا، وأن نخلطهم بنا .. ويجب أن نستغل الأراضى النضرة الخصبة التى يقومون فيها، ويجوسون خلالها كأنهم الظلال. ويجب أن نريهم كيف يستغلونها ليحيوا حياة الأناسى

إن الانسان لا يمكن أن يحب بلاده، وأن يفخر بها، وان يستقتل فى سبيل الدفاع عنها، وعن حريتها، إذا كان إنما يحيا فيها بائسا، جائعا، محروما .. وان الانسان لا يمكن أن يصح رأيه فى نفسه، وأن

يحترمها ، وأن يربأ بها عن مواقف الذل والهوان، إلا إذا كان يشعر بأنه يحسن عملاً شريفاً يكسب منه قوتاً شريفاً .. وكذلك سيولي الحزب الصناعة المحلية، والمقدرة الفردية، الفنية، عناية خاصة .. سيعنى الحزب بالصناعات التي تنتظم الإنتاج الزراعي ..

هدف التعليم

يطمح الحزب الجمهوري بأن يسير بالحياة على هدى الدين الحنيف .. ويطمع «جد» في أن يرد الحياة إلى ماكانت عليه أيام عمر - عمر العظيم .. أيام كان كل الناس آدميين كآدم - أيام كان الناس يخافون الله ولا يخافون شيئاً عداه - أيام كانوا ينشدون العزة ، فيطلبونها عند الله ، ويعلمون أن العزة لله جميعاً - نعم يطمع الحزب الجمهوري في أن يرد الحياة إلى ماكانت عليه في تلك الأيام الغر. وسبيل الحزب الجمهوري إلى ذلك هو التعليم على اسلوب غير هذا الاسلوب المضلل الذي نسير عليه اليوم -

فالتعليم لدى هذا الحزب إن هو إلا إعداد للرجل ليحيا حياة نافعة في مجموعة الرجال الذين سيعيش بينهم .. وإعداد للمرأة لتحيا حياة نافعة في مجموعة النساء اللائي ستعيش بينهن .. فهو إذا تنمية للمواهب الطبيعية، وحفز على استخدامها بطريقة تكفل للفرد السعادة، وتعود على الجماعة التي يعيش فيها بأبر الخدمات .. وستشمل برامج التعليم الرياضة البدنية في الهواء الطلق ، وقواعد الصحة العامة - وسنرمي بمزاولة الاعمال اليدوية إلى تحبيب العمل الشاق إلى نفوس النشء، وإلى

تثقيف اليد والعين .. وسيعمد إلى تحبيب الأرياف إلى النشئ بتحبيب الطبيعة، وبدرس حياة النبات، والطيور والزهور، وسيقصد إلى غرس أصول الأخلاق كالثقة بالنفس، والصبر، والمثابرة، وقوة الابتكار والكلف بالدفاع عن الحق، والتأذى من رؤية الظلم والفساد - ومايرى الحزب الجمهورى أن يكون هناك تعليم دينى، وتعليم مدنى، كل فى منطقة منعزلة عن الأخرى .. ولا يرى أن يكون للرجل أخلاق فى المصلى، واخرى غيرها فى الحانوت، أو الشوارع، وإنما يرى أن يتعلم كل الناس امور دينهم. وامور معائشهم، ثم يضطربون فى ميدان الحياة باجسام خفيفة، وارواح قوية، وقلوب ترجو لله وقارًا ..

إن التعليم يجب أن يبدد السخافات التى رانت على جوهر الدين، وأن يذهب القشور التى حجبت المعين، وأن يرد بالشعب المناهل التى شرب منها عمر، وأصحاب عمر ..
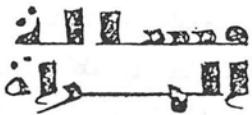
((د))

مسألة المرأة

وهى مسألة تنذر بسوء العواقب، وتهدد بتدهور أخلاقى ماله من قرار .. وسيولى هذا الحزب هذه المسألة عناية ما عليها من مزيد .. وسترى !! - واما عن تعليم المرأة عندنا فيرى الحزب أن سيره على هدى الغرب فاشل فشلاً ذريعًا .. فهم قد حاولوا أن يسيروا بها فى مراحل الرجل، فلم يفلحوا إلا فى جعلها شيئًا لا هو بالرجل، ولا هو بالمرأة . وإذا كان التعليم هو، كما أسلفنا، تنمية المواهب الطبيعية، والحفز على استعمالها بطريقة تكفل للفرد السعادة، وتعود على الجماعة

التى يعيش فيها بأبر الخدمات، كان من المحقق أن تعلّم المرأة تعليماً هو بسبيل من هذا - تعليماً يسلكها فى ميدانها الخاص، لا فى ميدان الرجل .. هذا من ناحية التعليم فى التوفر على أسباب المعاش .. وأما التعليم الدينى فهو يخاطب المرأة، كما يخاطب الرجل، ويطلب من كليهما حسن السيرة، وقوة الخلق ..

هذه هى أصول أهم الشعاب التى سينساب فيها نشاط الحزب الجمهورى، منذ اليوم .. ولدى الحزب جمعيات إختصاص بكل مسألة من هذه المسائل تتوفر على الدرس، والاستقصاء، والفهم المستقيم، والتوجيه الصحيح، والعمل النافع .. وإن على التفكير الدقيق، والفهم المستقيم، ليتوقف كل النجاح ..
ورائد الحزب الجمهورى فى اعتساف هذا الطريق هو الايمان - الايمان القوى الذى لا يتطرق إليه الوهن، بالله، وبأن الاسلام هو طريق النجاة للعالم أجمع، وبأن الشعب السودانى يملك، اكثر من غيره، أسباب الرشد، وأسباب الإنابة .. وشعار الحزب الجمهورى قول الذين قال عنهم الله تعالى :-

«الذين قال لهم الناسُ إنّ الناسَ قد جمعوا لكم، فاخشوهم، فزادهم ايمانا، وَقالوا حسبنا الله وَنعمَ الوكيل»
حسبُنا الله ونعمَ الوكيل

دستور الحزب الجمهوري

الإسم : الحزب الجمهوري
المبدأ : الجلاء التام
الغرض : (أ) قيام حكومة سودانية جمهورية ديمقراطية حرة مع المحافظة على السودان بكامل حدوده الجغرافية القائمة الآن .
(ب) الوحدة القومية
(ج) ترقية الفرد والعناية بشأن العامل والفلاح
(د) محاربة الجهل .
(هـ) الدعاية للسودان
(و) توطيد العلاقات مع البلاد العربية والمجاورة .
العضوية (أ) لكل سوداني بلغ من العمر ١٨ سنة
(٢) لكل مواطن ولد بالسودان أو كانت إقامته فيه لاتقل عن عشر سنوات لم يبارح خلالها السودان .
مال الحزب : يصرف في الأغراض التي نشأ من أجلها الحزب .

مذكرة تفسيرية

لما كانت الغاية من قيام الحكومات
هى أن تهيئ للفرد أقصى ما
يمكن أن يصل إليه من الرفاهية
رأت هذه الجماعة التى تكونت باسم "الحزب الجمهورى" إن أنسب نظام
يلائم نفسية هذا الشعب، ويتجاوب مع رغباته، ويخدم أغراضه، ويحمى
منافعه، هو قيام حكومة جمهورية ديمقراطية حرة .. وقد توخت جماعتنا
أن تبين نوع الحكم الذى تسعى إليه لئلا يكون هناك ما من شأنه أن
يترك الناس فى ظلام من أمرهم .. ولان الحكم الجمهورى لا يجعل
فضلاً لمواطن على آخر إلا بقدر صلاحيته، وكفاءته، للاضطلاع بالأعباء
المنوطه به. ولأنه، من ناحية أخرى، لا يقيد الناس بضرب من ضروب
الولاء والتقديس اللذين لا مصلحة للانسانية فيهما ..

وخلاصة القول إن هذا الحزب، كما هو ظاهر، يرى أن النظام
الجمهورى هو أرقى ما وصل إليه اجتهاد العقل البشرى فى بحثه
الطويل عن الحكم المثالى وعلى هذا الأساس وللاسباب المذكوره
فضله -

والسبل المؤدية إلى هذا الهدف قد يختلف الناس فى فهمها
أما رأى هذا الحزب هو أن مثل هذه الغاية لا تتم إلا بالتحرر من
النفوذ الاجنبى فى جميع مظاهره ذلك لاننا نؤمن بأننا قد بلغنا
درجة نستطيع بها إن ندير شئوننا بانفسنا وليس أدعى لتجويد
الخبرة اللازمة بفن الحكم من أن نمارس هذا الفن نفسه ممارسة
غير مشوبة على الطريقة التى نرتضيها . وعلى ضوء هذه الحقيقة
نكتشف أمامنا حوائج تستدعى منا التفاتا خاصاً .

١) العناية بالوحدة القومية، ونرمى بذلك إلى خلق سودان أو وطن بداتية متميزة ومصير واحد وذلك بإزالة الفوارق الوضعية من اجتماعية وسياسية، وربط أجزاء القطر شماله وجنوبه وشرقه وغربه حتى يصبح كتلة سياسية متحدة الأغراض متحدة المنافع متحدة الإحساس.

٢) ترقية الفرد من ناحيته الإنسانية والمعيشية حتى يتمكن من استغلال موارد بلاده الزراعية والصناعية بإنشاء جمعيات تعاونية لهذا الغرض وإنشاء نقابات توجه العمال التوجيه الصحيح.

٣) تعليم الفرد حتى يصبح عضوًا صالحًا فى المجموعة يدرك ما عليه من الواجبات وما له من الحقوق.

٤) الدعاية للسودان بشتى الوسائل حتى يتمكن أن يسمع صوته خارج هذا النطاق المحلى الضيق.

٥) نحن وأن كنا لا نريد أن نرتبط بشئ ما فى الوقت الحاضر ولكن لا يمكننا أن نتجاهل الاواصر التى تربطنا بدول الشرق العربى بشكل عام، والمنافع التى تربطنا بالاقطار المجاورة بشكل خاص وسوف تكيف علاقاتنا مع هؤلاء جميعًا على هذا الأساس.

الجمعة الموافق ٢٠ ذو القعدة ١٣٦٤هـ الموافق ٢٦ اكتوبر سنة ١٩٤٥

خاتمة

اما بعد، فهذا كان «السفر الأول».. ونرجو أن تكون قد تتبعت جذور «الفكرة الاسلامية» مجملة فى هذا السفر الذى كان مطلعًا لما

يزيد عن الثمانين سفراً، توالت طوال الثلاثين عاماً الماضية لتبوب، وتفصل «الفكرة الاسلامية» لتفصل ما أتى مجملاً في السفر الأول..

ولعلك أن تكون قد وقفت على تقويم الحركة الوطنية والاحزاب الطائفية.. ورأيت الاحتفال العظيم الذى يوليه الجمهوريون لشئون هذا البلد.. ولاحظت الحلول العلمية التى وضعوها للمشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى يواجهها المجتمع السودانى اليوم، والتى استطاع الجمهوريون، منذ نشأتهم، أن يتلمسوا إرهاصاتها، وان يجتاز احساسهم بها حجب المستقبل..

ولعلك أن تكون، أيضاً، قد رأيت ما نعاه الجمهوريون على النظام التعليمى الذى وضعه الاستعمار، فنسجنا نحن على منواله، بعيون معصوبة، وفكر آسن. فكانت نتيجة ميراثنا، عن الاستعمار، من النظام التعليمى هذه العطالة المقنعة فى دواوين الحكومة، وهذا الانصراف عن العمل فى الريف، وهذا الاحتقار للعمل اليدوى.. وهذه الازدواجية من تعليم مدنى وآخر دينى.. يخرج الأخير أوصياء على الدين، وكانى بهم يبيعون صكوك الغفران لمن والاهم بولاء القداسة الزائفة.. والدين منهم، ومن صنيعهم براء..

لقد نادى «السفر الأول» بوحدة نظام التعليم.. حتى يخرج منه جيل من الشباب موحد الشخصية، موحد الغاية، موحد الفكر والاحساس. ونادى «السفر الأول»، والجمهوريون يومئذ فى مهد دعوتهم، بالثورة الثقافية!! هذه التى يضطلع بها الإخوان الجمهوريون اليوم، فى كل شارع، وفى كل منتدى، وفى كل مكان عام.. بوجودهم، مجرد الوجود، حيث تعبق منهم أنفاس الخلق السجيح، وبنشرهم الفكر الحر، بلسان رطب، صادق، صادق، مناذق..

لقد دعا «السفر الأول» إلى «النهضة الدينية».. ودعا اليها على

أساس من «الفكر الحر» .. فهو منذ ذلك اليوم، يرى الدين وسيلة لانجاب الفرد حر الفكر.. تلك هى الثورة الفكرية الحقة.. وهو فكر نشط الحركة، ايجابى الاتجاه.. لايمس شيئاً من حياة الناس اليومية إلا أحاله إلى عمار وصلاح.. وتلك هى الثورة الثقافية.. إننا نحن الاخوان الجمهوريون، حملة الدعوة إلى الثورة الثقافية منذ ماينيف على ربع القرن.

إننا اليوم، إذ نحتفى بمرور ثلاثين عاماً على «السفر الأول» - السفر الخالد - فشغلنا الشاغل هو هذه الثورة الثقافية.. الثورة الدينية!! فنحن قد أيقنا أن شعبنا هذا عميق الوشيجة بدينه، جم التقديس لنبيه الكريم، وهو لم يضلل، حين ضلل، إلا من قبيل هذا التعلق الصادق بالدين.. ففعلت به الطائفية الافاعيل.. ولذلك، فان للطائفية جذوراً عميقة فى نفوس أفراد شعبنا.. لايتم إجتثاثها، والقضاء المبرم عليها، إلا بتلك «الثورة الدينية»!! وما محتوى تلك الثورة الدينية؟؟ محتواها بايجاز: بعث «السنة النبوية»

إننا قد أيقنا أن ببعث السنة النبوية فى أفراد هذا الشعب بعث هذا الشعب، وانشاؤه خلقاً آخر.. ذلك أن السنة النبوية، وهى عمل النبى الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، فى خاصة نفسه.. هى القمينة باحداث التغيير الجذرى والسريع فى نفوس أفراد شعبنا، والثورة الثقافية أبرز سماتها التغيير الجذرى، ثم هو تغيير سريع.. فهو جذرى لأنه تغيير المفاهيم والسلوك، وهو سريع لانه مبنى على منهج مخطط ميسور البدايات، محسوب المراحل، مضمون النهايات.. وشعبنا سريع الاستجابة لمنهج كمنهج السنة النبوية.. فان من أبرز سمات شعبنا هى «أميته»، متعلموه لايخلون من بساطة «الامية».. ودينا دين الأميين.. نبيه أمى، وأمته

أميّة « هو الذى بعث فى الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وإن كانوا ، من قبل ، لفى ضلال مبين .. وآخرين منهم لما يلحقوا بهم .. » وآخرين من « الاميين » سنبعث فيهم السنة النبوية بعد اندثارها .. وسيكونون انموذجها الصالح لامم الكوكب قاطبة .. هؤلاء هم السودانيون الذين ينطوون على حب ، وعلى تقديس ، للنبى الكريم لا يدانيهما شئ فى حياتهم ، ولا يدانيهما حب وتقديس للنبى الكريم ، عند أي أمة من الأمم ..

ومنهج السنة النبوية التحول به سريع ، لانه يتجه إلى المتعلم وإلى الأمى ، فى آن معاً ، ببساطة شديدة ، وبعمق شديد ، فالمواطن الريفى يستطيع أن يتعلم عمل السنة فى العبادة ، وفى المعاملة فى جلسات معدودات ، ويستطيع أن يقوم لتوه ، فيطبق ما تعلم ، ويستطيع أن يحقق تغييراً أساسيًا فى حياته فى أقصر فترة من حياته .. فيكون مواطناً صالحــاً ، عالماً ، جم العلم .. والخطة التعليمية فى منهج السنة النبوية « من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم » وهى هى خطة القرآن التعليمية « واتقوا الله ويعلمكم الله » .. إذا تعلم القروى البسيط من مواطنينا ما لا تصح العبادة إلا به من شئون دينه ، ثم تعلم الغاية من العبادة .. وعمل بما علم - لتحول ريفنا كله إلى ثورة على الطائفية ، وثورة على الجهل ، وثورة على الجمود .. ولظفر ريفنا ، كله ، بحركة العمران والاصلاح ، وللحق بأسباب المدنية .. ولتغيرت أخلاق المدينة !!
فنحن لا تنقصنا الخبرة الفنية ، ولا المهارة الفنية ، ولا ينقصنا التخطيط العلمى ، بقدر ما تنقصنا الاخلاق !! أزمتنا الراهنة أزمة أخلاق .. ومن أجل ذلك دعونا إلى الثورة الثقافية .. الثورة

الدينية .. لتغيير الأخلاق .. «أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» ..
ومن هنا عمل الأخوان الجمهوريين الدؤوب في ميدان الثورة الثقافية .. وهو
ميدان خال من سواهم .. إن تعليم هذا الشعب وتغييره، لن يكونا إلا
إذا أحلنا كل منبر فيه إلى منبر حر يبصر أفراد الشعب بوسائل التغيير،
ويوصل إليه، قبل ذلك، المعلومات الوافية حتى يكون، وهو المقصود
بكل خطة، واضع هذه الخطة .. ولن يكون تعليم هذا الشعب وتغييره
إلا إذا تحول كل مكان فيه إلى منبر حر!! كل مكان!!

إن الذي رسم خطوطه الـ«السفر الأول» العريضة يجري اليوم واقعاً، نابضاً بالحياة،
في :- هؤلاء الفتية الذين يحملون «الكتاب» في الشوارع، والأماكن العامة ..
يدعون إلى الله على بصيرة وكتاب منير!! سيماهم على وجوههم نور من
ضياء الإسلام! فإذا لقيتهم فهم طلبتك، فضع يدك على أيديهم، وحول
حياتك وحياة أهلك، إلى قيام بالليل، كما هي السنة، تصلى لله تاليا به، وإلى
سعي لخدمة الناس بالنهار، كما هي السنة، قاصداً رضوان الله، تخشاه، وترجو وقاره ..

لقد أسفر «السفر الأول عن أول الطريق في الدين .. ولقد جاءت
الأسفار تترى لتبين «دقائق حقائق الدين» .. فما أصلح أول هذا الأمر،
وما أصلح آخره!! والله، من وراء ذلك، محيط ..

الإخوان الجمهوريون

أم درمان ص. ب ١١٥١ ت ٥٦٩١٢